



١٠

سبب تأليف العقد وزمنه وطريقته

اما سبب تأليفه فالظاهر من مقدمة الكتاب انه دافع علمي ادبي ، حيث يذكر صاحبه انه رأى بعض اهل العلم قبله من مجتري في مثل هذه الامور التي تعرض لها في عقده اكثر واكثر واطالوا ، ورأى البعض الآخر اساءوا الاختيار والجمع والتبويب فجعل كتابه كافيًا جامعاً مبرهاً مرتباً^(١) . ويذهب بعض المتأخرين ، ولا ندري الى اي مرجع يستندون ، الى انه ألّفه ، لعبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر المتوفى سنة ٣٥٠^(٢) ولا يفوتنا ان نعد هنا ما ذكرنا مرة من ان ارجوزة ابن عبد ربه في العروض ، وهي جزء من كتاب كتب العقد ، قد اهداها الى الامير عبد الله المتوفى سنة ٣٠٠

اما زمن بده تأليفه او جمعه فلا نعلمه بالضبط ، اذ فيه من الشعر الذي نظمه ابن عبد ربه ما يرجع الى قبل سنة ٣٠٠ كما اسلفنا وفيه ما يستمر عهده

(١) راجع ابن عبد ربه ٢٥١-٢٥٢

(٢) المتصنف المجلد ٢٩ (سنة ١٩٠٦) يوليو (ص ٥٨٨ ، مقال محمد كرد علي

الى سنة ٣٢٢^(١). وهناك ذكر للخليفة عبد الرحمن الناصر بقبه بامير المؤمنين^(٢) كما يدل على ان هذا النعت ان لم يكن من وضع المتأخرين فقد وضعت اخبار صاحبه بعد سنة ٣١٧، السنة التي لقب فيها الناصر بامير المؤمنين^(٣). وفي تضايف المقدم ما يظهر انه كان يجمع اخباره كلها ويؤبها بحيث يقع كل خبر تحت باب خاص وضعه له. وترى في ما يأتي دليلاً على ما نقول، قال ابن عبد ربه: «هذا ما ذكرنا في كتابنا من الخطب للحجاج وما بقي منها فهي مستقصاة في كتاب اليتيمة الثانية حيث ذكرت اخبار زياد والحجاج. وانما مذهبتنا في كتابنا هذا ان نأخذ من كل شيء أحسنه ونحذف الكثير الذي يستجزأ منه بالقليل^(٤)». اما اليتيمة الثانية فانها تقع بعد الكتاب الذي اخذنا منه هذه العبارة. كذلك ذكر مثلاً في الكتاب الاول من عقده «اللؤلؤة في السلطان» ثم اعقبه بقوله: «وهذا مثل وقد وقع تفسيره في كتاب الامثال^(٥)». وكتاب الجوهرة في الامثال انما هو الكتاب السابع من كتب المقدم الخمسة والعشرين.

اختصار المقدم

ولقد اختصر المقدم - فيما يذكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون - (طبعة اوربة ٤: ٢٣٢)، والسيرطي في كتابه بنية الرواة... (صفحة ١٨٢ وصفحة ١٠٦) - اثنان اولهما ابو اسحق ابراهيم بن عبد الرحمن الروادي آشبي القيسي المتوفى حول سنة ٥٧٠، وهو فيما يظهر من اسمه اندلسي من وادي آش (Guadix) من مقاطعة غرناطة، وثانيها جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الانصاري الحزرجي، وهو ابن منظور الشهير مؤلف معجم لسان العرب المتوفى سنة ٨١١. وقد روى السيوطي ان الاخير اختصر كثيراً من كتب الادب المطولة عدا العقدة كالاغاني والذخيرة ومفردات ابن البيطار ونقل ان مختصراته ٥٠٠ مجلد^(٦).

- | | |
|--|------------------------|
| (١) ابن عبد ربه ٢: ٢٧٧ | (٢) ابن عبد ربه ٢: ٢٦٢ |
| (٣) المقرئ ج ١: ١٦٦ رج ١: ٢٧٧ طبعة اوربة | |
| (٤) ابن عبد ربه ٢: ١٨٨ | (٥) ابن عبد ربه ١: ٢٢ |
| (٦) السيوطي ١٠٦ | |

ولا اعلم هل لهُذين الكتابين اثر الآن. ويظهر من فهرس كتب آداب اللغة العربية الموجودة في دار الكتب بالقاهرة (٣: ١٣٤١) ان هناك نسختين لمختصر كتاب العقد كتلثاً، نسبت لمجهول (احد الفضلاء). الواحدة يرجع تاريخ الفراغ من كتابتها الى سنة ١٠٩١ هـ. والاخرى الى سنة ١٠٣٦ هـ. فهل لاي من هاتين النسختين علاقة باحد من المختصرين المذكورين؟

وقد عمدت لجنة من بعض اديباء مصر^١ فاخترت بعض الايوب والقصور منه وجمعتها في كتاب سته مختار العقد بين يدينا الآن الطبعة الثالثة منه ، وتاريخها سنة ١٩١٣ م وقد طبعت في المطبعة الجبالية بمصر .

الناقلون عن العقد

اما الناقلون عن العقد فهم فيما نظن كثير يصعب حصرهم. غير اننا نود ان نشير هنا الى ان الابشيبي التوفي بعد سنة ٨٥٠ هـ . قد نقل كثيراً عن العقد في كتابه « المستطرف في كل فن مستظرف » وقد نبه الى ذلك في مقدمة كتابه قال : « ونقلت فيه كثيراً مما نقله ابن عبد ربه في كتابه . . . »^٢ والقريب ان الابشيبي لم ينتقل ما نقله ابن عبد ربه فحسب بل سطا على كلام ابن عبد ربه في فرش بعض الكتب ، فنقله بالحرف ايضاً واستند الكلام فيه الى نفسه لا الى ابن عبد ربه^٣ .

وذكر البغدادي (الشيخ عبد القادر بن عمر) في كتابه « خزنة الادب ولب باب لسان العرب » انه استند الى بعض كتب ترجع الى فن الادب منها العقد الفريد لابن عبد ربه^٤ .

كذلك قد رجع ابن خلدون الى العقد في اكثر من موضع في مقدمته^٥ ولم يفت القلقشندي ان يأخذ كثيراً عن العقد وقد اشار الى ذلك في كثير من المواضع^٦ .

(١) الاساتذة : الشيخ عبد الحكيم محمد ، والشيخ عبد الخالق عمر ، والشيخ عبدالعزيز خليل ، والشيخ محمد الحضري

(٢) الابشيبي ٢: ١

(٣) الابشيبي ٢: ١٧٦ ، وقايله يابن عبد ربه ٣: ٢٢٩

(٤) ج ١٠: ١ ، طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ

(٥) ص ٢٠ و ١٧ (٦) ١: ٢٦٢ ؛ و ٩: ٢٦٢ وغيرها

في نسخ العقد الخطية

اما نسخ العقد الخطية فهي ، فيما يظهر من كتاب بروكلمن في تاريخ آداب اللغة العربية ، كثيرة جداً منها اثنتان في برلين ، وثلاث في غوطة ، وواحدة في المجموعة الرفاعية لفلشر ، وواحدة في فيينا ، وواحدة في منشن ، واربعة في مكتبة بودليان ، وثلاث في المتحف البريطاني ، واثنتان في الاسكوريال بمدريد ، وخمس في باريس ، وواحدة في بطرسبرج ، وواحدة في (Mel. us.) ، وواحدة في مكتبة ميلانو الايطالية . وهناك اثنا عشرة نسخة في الاستانة منها ست في مكتبة ايا صوفيا ، واثنتان في مكتبة نوري عثمانية ، وواحدة في مكتبة رانغ باشا ، وثلاث في مكتبة كوبريلي^{١)}

ومع ان بروكلمن لم يشر الى وجود نسخة ما بالقاهرة بل اكتفى بالإشارة الى سنوات طبع العقد فيها ، فانا نظن انه لا بد من وجود بعض النسخ . وليس من الضروري ان يكون عدد النسخ بمدد الطبعات اذ يجوز ان التأخرين المتأخرين نقلوا عن الطبعة القديمة . والذي يظهر من الطبعة الاولى سنة ١٢٩٣ انها اخذت عن نسخة خطية للشيخ عبد العزيز محاسن^{٢)} الذي يظهر ايضاً انه رتب فهرسها للمواضيع على الطريقة التي هي عليها الآن . ويجوز ان يكون هذا قد نقلها عن احدى نسخ الاستانة . ويظهر من فهرس دار الكتب بالقاهرة ان ليس في الدار نسخة خطية تامة من العقد ، انا يوجد عدة اجزاء صغيرة مختلفة اشرفنا الى بعضها في غير هذا الموضع^{٣)} .

في طبعات العقد ، وترجمته بعض اقسامه

لقد طبع العقد في مصر ٥ مرات اولها ببولاق سنة ١٢٩٣ هـ . ثم في المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٢ هـ ، ثم في المطبعة الشرفية سنة ١٣٠٥ هـ . ثم تكرر طبعه في المطبعة الاخيرة ايضاً سنة ١٣١٦ هـ ، واخيراً في المطبعة الازهرية سنة

١) بروكلمن ١ : ١٥٥

٢) ابن عبد ربه ١ : ٢ من جدول الفهرس باول الكتاب

٣) راجع فهرس الآداب ٣ : ٢٥٢-٢٥٣

١٣٣١ هـ . وقد ذكر الاستاذ فؤاد افرام البستاني في «روائه»^(١) ان الافرنج قد سبقوا ادباء العصر الى معرفة هذا الكتاب ، وان المستشرق الفرنسي تورنيل (Tourneil) قد نقل الى لغته بعض المقاطع المختصة باحوال قدماء العرب ونشرها في باريس بعنوان: «Lettres sur l'Histoire des Arabes avant l'Islamisme» سنة ١٨٣٦ و ١٨٣٧ و ١٨٣٨ . و اشار الى ان المستشرقين لم يطبخوا النص العربي .

أراء بعض المفكرين في العقد

مرّ معنا شيء من تعرّض صاحب بن عباد للعقد وتقدمه اياه وقوله « هذه بضاعتنا ردت الينا » . ويظهر ان اكثر الذين نعموا على ابن عبد ربه عقده قد قصدوا الى هذه الناحية التي انتقدتها صاحب بن عباد ، اي عدم ذكر صاحبه اخباراً كثيرة عن الاندلسيين . فقد ذكر المتري ان ابا علي التيمي القيرواني ذكر لابن حزم الاندلسي في رسالة تعرّض فيها للاندلسيين ابن عبد ربه صاحبنا قائلي على عقده ثناء قليلاً ثم قال: « انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه اكثر الحزب واخطأ الفصل واحال الهز لسيف غير متصل وتقدم به ما قدم باصحابه من ترك ما يضيهم واغفال ما يهتهم »^(٢)

ويذكر المتري في موضع آخر ان القلنات الشاعر معاصر ابن عبد ربه كان يتعرّض لابن عبد ربه ويهجه ويسمي كتاب العقد حبل الثوم^(٣) . واذا استئينا هزلان زي سائر المؤرخين والادباء يثنون على العقد وصاحبه خير تناء .

هل لادبه عبد ربه كتب غير العقد؟

والجواب نعم . والغريب اننا ، اذا استئينا حاجي خليفة ، زى ان كل

(١) بستاني عدد ٨: ج ١ ص ٥ - ز

(٢) المتري (اورية) ٢: ١٠٦ ، وطبعة مصر ٢: ٧٦٧

(٣) ٢: ٢٠٠ ، ٢: ٨٢٢ ، غير ان الرواية في الطبعة

المصرية مشوشة .

الذين تصدوا لذكر شيء عن ابن عبد ربه من القداما والمحدثين لم يلتفتوا الى هذا الامر . ولقد ذهب المحرم برجى زيدان الى ابعده من السكوت فصرح انه ليس لابن عبد ربه سوى المقد^(١) . اما حاجي خليفة فقد ذكر في كتابه «كشف الظنون» كتاباً لابن عبد ربه غير المقد هو «اللباب في معرفة العلم والآداب» ثم قال : «للسيخ المأمة احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ اوله : الحمد لله على كل حال الخ»^(٢) وظاهر من كلام حاجي خليفة ان لا مجال يدفننا الى ان نظن ان المؤلف غير صاحبنا .

٤

نثره

لم يترك لنا ابن عبد ربه آثاراً كثيرة من نثره . ومن يظن ان لغة المقد تمثل نثره فقد أخطأ . ذلك لان المقد مجموعة اخبار في مختلف العلوم والفنون نقلت عن رواة من عصور مختلفة روعيت في رواياتها المحافظة على الاصل من حيث صوغ العبارة . ولم يكن لابن عبد ربه فيها ، كما صرح هو نفسه ، سوى فضل الاختيار وحسن الاختصار ، وما سواهما فأخوذ من اقوال العلماء والادباء . ولقد يدل هذا التصريح من ابن عبد ربه على انه كان يرجع الى كتب دونت ينقل عنها ، وانه لم يأخذ عن احد شفاهاً بحيث يضطر الى سبك الخبر بلسانه . ولعل المواضع الوحيدة في صلب عقده التي يصح لنا ان نظن انه حاك عبارتها بلفظه هي تلك الاخبار التي دونها عن امراء الاندلس ولاسيما المتأخرين منهم كالنذر بن محمد ، وعبد الله ، والحليفة الناصر ، وتلك التي نقلها شفاهاً عن اساتذته بقي بن مخلد ، وابن وضاح ، والحشني ، وقليلة ما هي ! غير ان صاحب المقد قد صدر كتابه بقدمة من انشائه ، وفرش لدار كل كتاب من كتب المقد الخمسة والشرين بتوطئة من نثره دون ان يفوته التنبيه الى ذلك . زد

(١) زيدان ١٧٤: ٢

(٢) حاجي خليفة (طبعة اوربة) ٢٠٢: ٥

على هذا كله انه لم يخلُ العقده من بعض مواضع عثرنا فيها على عبارات مقتضبة وجيزة يقتضي سياق الكلام فيها ان تكون من صوغه .

وزى - اذا جاز لنا ان نحكم من هذا القدر القليل الذي بين ايدينا - ان انشاء ابن عبد ربه يمتاز بالوضوح اذا قررن بانشاء ابي الفرج الاصبهاني صاحب كتاب « الاغاني » الكبير ، وبالرفقة من حيث اللفظ ، والترتيب من حيث المعنى اذا قوبل بنثر الجاحظ . ولعله اشبه بأسلوب ابن قتيبة وامته . ولا عجب فقد اكثر ابن عبد ربه من الدرس في كتب ابن قتيبة ، واكثر من الاخذ عنها . ولقد مرّ معنا انه كان يتأثر ابن قتيبة في طريقته وأن عقده لولا قليل ، لكان معارضة لليون اخباره . ولعل من الخير ان نظهره على قطع من انشائها ، ولتكن من مقدمتي هذين الكتابين قال ابن عبد ربه :

« وتطلبت نظائر الكلام ، واشكال المعاني ، وجواهر الحكم ، وضروب الادب ، ونوادر الامثال ، ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه ، فجعلته باباً على حديثه . ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ، ونظيره من كل باب ، وقصدت من جملة الاخبار ، وفنون الآثار ، الى اشرفها جوهرًا ، واظهرها رونقًا ، والعظما معنى ، واجزلها لفظًا ، واحسنها ديباجة ، واكثرها طلاوة وحلاوة . » (١)

وقال ابن قتيبة :

« نظمتها لمنزل التأديب بتمرة ، ولاهل العلم تذكرة ، ولناس الناس وموسم مؤدياً ، وللبلوك مسراحاً من كدّ الجذ والتب ، وصنفتها ابواباً ، وقرنت الباب بشكله ، والمخبر بئله ، والكلمة باحتيا ، ليسهل على المتعلم علمها ، وعلى الدارس حفظها ، وعلى الناقد طلبها ، وهي لفاح غنول العلماء ، وتاج افكار الحكماء ، وزبدة المخض ، وحلية الادب وانوار طول النظر . » (٢)

وقال ابن عبد ربه في موضع آخر من المقدمة :

« وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعه ، فوجدتها غير متفرقة في فنون الاخبار ، ولا جامعة لجمل الآثار ، فجعلت هذا الكتاب كافيًا جامعًا لاكثر المساني التي تجري على افواه العامة والخاصة ، وتدور على السة الملوك والسوقة ، وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر ، تبانس الاخبار في مسانها ، وتوافقه في مذاهبا . » (٣)

(٢) ابن قتيبة ١ : صفحة ٥

(١) ابن عبد ربه ١ : ٢١

(٢) « « « ٤١١

وقال ابن قتيبة في مقدمة كتابه :

«ولم أَرُ صواباً ان يكون كتابي هذا وفقاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سوتهم ، فوفيت كل فريق منهم قسه ، ووقرت عليه بهمه ، واددته طرفاً من محاسن كلام الزهاد في الدنيا ، وذكر فجانمها والزوال والانتقال ، وما يتلاقون به اذا اجتمعوا ، ويتكاتبون به اذا افرقوا ، في المواعظ والزهد والمصر والتبوى واليبين وانشاء ذلك ، لعل الله يطف به صادقاً ، وياطر على التوبة متجافئاً ، ويردع ظالماً ويلين برقائه قسوة القلوب .» (١)

ولعل كلا ابن عبد ربه وابن قتيبة قد تأثر بالجاحظ من ناحية استعمال الجمل المقتضبة الوجيزة المتوازنة بعضها مع بعض ، والتي لم يلتفت فيها كثيراً الى السجع ، ولكنها لم يلبغا مبلغه ولم يوفقا توفيقه . ويظهر ان ابن عبد ربه قد امتاز على ابن قتيبة في رقة العبارة وسلاستها رغم ان الفرق قليل ، ولعله ايضاً قد وفق اكثر من رفيقه في التأثر بالجاحظ من حيث قصر العبارات واتزانها بعضها مع بعض ، وربما من الخير ان تقابل ما ذكرنا لكليهما مع ما سيأتي للجاحظ .

قال في مقدمة كتابه « المحاسن والاضداد » :

« الكتاب نم الذخر والعدة ، والجلس والعدة ، ونم النشرة ، ونم الترهه ، ونم المشتل والحرفة ، ونم الانيس ساعة الوحدة ، ونم المعرفة ببلاد الغريبة ، ونم الفرن والدخيل والزميل ، ونم الوزير والتريل ، والكتاب وعاء ملي علماً وظرف حشي طرفاً ، وانا شحن مزاحاً ، ان شئت كان اعيان باقل وان شئت كان ابلغ من سبحان وانزل ، وان شئت سرتك نوادره ، وشجتك واعظه ، ومن لك بواعظ ملع ، وينامك فانك ، وناطق آخرس . . . ومن لك بشي . يجمع الاول والاخر ، والنافص والموافر ، والشاهد والنايب .» (٢)

وهما يكن من الامر فأتا نرى انه ليس من الضروري ان يكون ابن عبد ربه او ابن قتيبة قد تأثر بالجاحظ خاصة او بكتابه خاص آخر غير الجاحظ ، حيث اتنا نرى اكثر الادباء في صدر الدولة العباسية كسهل بن هرون ، وابراهيم الصولي ، وعبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع (الى حد ما) قد اتبعوا هذا الاسلوب الكتابي المتوازن المبارت وكتبوا رسائلهم الادبية فيه . ولقد

تقيد ابن عبد ربه بهذا الاسلوب في فرش دور كسبه اكثر مما تقيد في مقدمة العقد نفسه : قال في مقدمة كتاب الفريده في الحروب :

«قد مضى قولنا في السلطان وتطهيره ، وما على الرعية من لزوم طاعته ، وادامة نصيحته ، وما على السلطان من العدل في رعيته ، والرفق باهل مملكته ، ونحن قائلون بكون الله وتوفيقه ، في الحروب ومدار امرها ، وقود الجيوش وتديبيرها ، وما على المدبر لها من اتهاز القرصه ، والتيس الفره ، واذكاه البيون ، وافشاء الطلائع ، واجتباب المضايق ، والتحفظ من اللدسيات ، واحكام معرفته ، وطول تجربته لفاساء الحروب ، ومعاناة الجيوش ، وطمه ان لا درج كالصبر ، ولا حصن كاليلين .» (١)

وقال في مقدمة كتاب السلطان :

«السلطان زمام الامور ، ونظام الحقوق ، وقوام الحدود ، والفطرب الذي عليه مدار الدنيا ، وهو حمى الله في بلاده ، وظلله المسدود على عبادته ، به يتنع حريمهم ، ويتصر مظلومهم ، ويتنع ظالمهم ، وبأمن خائفهم .» (٢)

وقال في فرش كتاب الوفود :

«... فافاضا مقامات فضل ، وشاهد حفل ، ينخير لها الكلام ، ويستهبذ الالفاظ ، ويستجزل الممانى ، ولا يد للوافد من قومه ، ان يكون عميدم وزعيمهم الذي عن قوته (كذا) يترعون ، وعن رأيه يصدرون ، فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن السنة ، وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم او خليفته او بين يدي ماث جبار في رغبة او رهبة ، فهو يوطد لقومه مرة ويتحفظ عن امامه اخرى ، انراه مدخرآ نتيجة من نتائج الحكمة ، او مستقيماً غريبة من غرائب النطقه ، ام تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة ، الا وهو عندهم في غاية اللذلقة واللسانة ومجمع الشر والحطابة .» (٣)

وقال في فرش كتاب الياقوتة الثانية :

«... وكرهنا ان يكون كتابنا هذا بد اشتماله على فنون الاداب والمحكم والنوادير والامثال ، عطلاً من هذه الصناعات التي هي مراد السع ، وسرع النفس ، وزيع القلب ، ومجال الموى ، ومسلاة الكتيب ، وانس الوحيد ، وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب ، واخذته بمجامع النفس .» (٤)

وانا لنلاحظ هذا الاتزان في عبارته ، في الجبل والفقرات الصغيرة التي نثرها

في العقد عند تعليقه على خبر او تعرضه لراي كان يقول مثلاً :

(٢) ابن عبد ربه ٤٥١ :

(٤) // // ٢٢٩:٣

(١) ابن عبد ربه ٢٥٠ :

(٣) // // ١٢٤:١

«ومن الشعر المطبوع الذي يجري مع النفس رقة ، ويؤدي من الضحير ابانة . . . » (١) او « وهذا في قديم الشعر وحديثه ، وطارف الكلام وتليده ، أكثر من ان يحيط به وصف او يأتي من ورائه نمت . » (٢) او « وما سمعت بالطف مني ، ولا اكل ادياً ، ولا احسن مذهباً ، في مائة الملوك من شيب بن شبة وقوله لابي جعفر اصلحك الله ، اني احب المرفة واجلك عن السؤال : فقال له فلان بن فلان » (٣)

اما اذا اقتضى الامر شيئاً من الشرح او الاستدلال او الاسهاب فأتانا نرى ابن عبد ربه يتفقت شيئاً ما من قيود هذا التوازن بين العبارات ، فيرسل الكلام في بعضها ويراعي التوازن في البعض الآخر . قال :

« وما رأيت اعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب انه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ثم ختم كتابه بذهب الثورية فنقض في آخره كل ما بنى في اوله . » (٤) وقال في امر اشعر نصف بيت قائله العرب :

« وهذا ما لا يدرك قايته ولا يوقف على حدّته والشعر لا يقوت به احد ولا يأتي به بديع الا اني ما هو ابداع منه وفه در القائل اشعر الناس من ابداع في شعره . » (٥) وقال :

« وما سمعت في صفة الدنيا والسبب الذي يجيها له الناس لاجله بانلغ من قول الغائل . . . فذكر ان الناس بنو الدنيا وما كان الانسان منه فهو محبب اليه واعلم ان الانسان لا يحب شيئاً الا ان يجانه في بعض طبائمه وان الدنيا جانست الانسان في طبائمه كلها فاحبها بكل اطرافه . » (٦)

وقال في باب اخبار خلفاء بني امية في الاندلس :

« ثم ولي الملك القسر الازهر ، الاسد النضنور ، الميسون النثية (٧) ، المحمود الضريبة (٨) سيد الخلفاء وانجب التجباء عبد الرحمن بن محمد امير المؤمنين . . . فتولى الملك وهي جرة تتقدم ، وفار تضطرم ، وشفاق وفاق ، فاخذ نيرانا وسكن زلازلها ، وافتتحها عوداً كما افتتحها بدءاً سيه عبد الرحمن بن معاوية رجه الله وقد قلت وقيل في «اشعار» [للمها زائدة] غزواته كلها اشعار قد جالت في الامصار وشردت في البلدان حتى اتمت وانجذت واعرقت ولولا ان الناس مكثفون بما في ايديهم منها لاعدنا ذكرها او ذكر بعضها ولكننا شذكر ما سبق الينا من مناقبه التي لم يتقدمه اليها متقدم ولا اخت لها ولا نظير . » (٩) وقال ايضاً :

(١) ابن عبد ربه ١٧٣:٣

(٢) ٢٨١:١

(٣) ١١٨:٣

(٤) وردت خطأ «التقية» والتقية بمعنى النفس والمقل.

(٥) الضريبة بمعنى السجدة والطيبة

(٦) ابن عبد ربه ٢٦٢:٣

« ومن مناقبه ان الملوک لم ترل تبني على اقدارها ويقضى عليها بآثارها ، وانه يتى في المدة القليلة ما لم تبين الخلفاء في المدة الطويلة ، نعم لم يتق في النصر الذي فيه مصانع اجدهاده ومعلم اوليته بنية الاوله فيها اثر محدث اما ترييد او تجديد ، ومن مناقبه انه اول من سمي أمير المؤمنين من خلفاء بني امية بالاندلس ومن مناقبه التي لا اخت لها ولا نظير ما اعجز فيه من بعده وفات فيه من قبله من الجود الذي لم يعرف لاحد من اجواد الجاهلية والاسلام الاله . » (١)

ويظهر من بعض المواضع في عقده انه كان يرغب في اللفظ السهل قال :
 « ومن قولنا غدح رجلاً باستسهال اللفظ وحسن الكلام . » (٢) وانه كان يرغب عن التكلف ، قال : « فانما مدار كل شيء على طبعه والتكلف ممنوم من كل وجه . » (٣) وانه كان يحب الایجاز ويرى الفضل كل الفضل فيه قال : « اذ كان اشرف الكلام كله حسناً وواقمه قدراً واعظمه من القلوب موقماً ، واقله على اللسان عملاً ، ما دلّ بمضه على كله ، وكفى قليله عن كثيره ، وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك ان تقلّ حروفه وتكثر معانيه . » (٤) وانه كان يرى للاطناب موضماً ، ولكنه يفضل الاختصار في الجملة عليه قال : « ومن كلام العرب الاختصار والاطناب والاختصار عندهم احمد في الجملة ، وان كان للاطناب موضع لا يصلح الاله . » (٥) وقد جمع اكثر هذه الامور التي تمثل رأيه في الانشاء بقوله عن كلام الاعراب : « اشرف الكلام حياً واكثره رونقاً ، واحسنه ديباجة ، واقله كلفة ، ووضحه طريقة . » (٦)

والخلاصة انه يستدل بما ذكرنا عن رأي ابن عبد ربه في هذا الموضوع ، ومن هذا القدر القليل من نثره الذي ذكرنا لك بعض نماذج منه [اذا جاز لنا الاكتفاء بها] على ان ميزات أسلوبه الكتابي تشمل الایجاز في الكلام ، وسلامته من الفضول ، وبراهته من التعميد ، وبهـ عن التكلف ، وسهولة الفاظه ، وعذوبتها ، واتزان عباراته ، وحسن سبكها ، وعدم استعمال التريب من المفردات . وان ابن عبد ربه في نثره ، كما نراه في شعره ، رقيق اللفظ جزله ، واضح التعبير ، - ائف الفهم .

(له صلة)

(٢) ابن عبد ربه : ١ : ٢٠٠

(٣) « / / » ٢٠٢ : ٢

(٤) « / / » ١٢ : ٢

(١) ابن عبد ربه : ٢ : ٢٦٢

(٣) « / / » ٢٠١ : ١

(٥) « / / » ٢٠٢ : ٢